

صحافة التحقق واطاء الصحفيين عبر الفيسبوك

عماد الاصفر

ملخص

الصحافة اصبحت مستباحة ومعرضة للخطر اكثر من أي وقت مضى، وهو ما يوجب العودة الى الاساسيات واعادة الاعتبار لادوار الصحافة الاربعة: مخبر ومرشد ووسيط وراقب، وان نلتزم بمعايير جودة المنتج المتمثلة في تقديم كل مهم وجديد بشكل جريء ومسؤول بدقة متناهية وايجاز لا يعتدي على الوضوح، وان يسعى الصحافي دوما لامتلاك عقل الفيلسوف، وحكمة القاضي واحساس الشاعر وشجاعة الفارس.

كل منا يحتفظ في ذاكرته بحادثة او أكثر لاساءة مهنية او سقطة اخلاقية كان مسرحها الفيس بوك او سبها منشور يفتقد الى ادنى درجات المصداقية، نريد عبر التثقيف الاعلامي ان نرفع من سوية ومن حسن استخدام المواطن لمواقع التواصل الالكتروني، لا ان ننحدر بمهنتنا الى مستوى التماهي مع حديث المقاهي والشوارع وما يسوده من اشاعات ومبالغات وانصاف حقائق واحاديث غير مسؤولة

في كل دقيقة يجري نشر ملايين البوستات على الفيسبوك ومئات الآف التغريدات على تويتر ومثلها من الصور على انستغرام وتحميل عشرات الساعات على اليوتيوب ويقوم بذلك خليط بشري يتدرج من الناضجين الى المراهقين ومن دعاة السلام الى اشد الارهابيين تطرفا ومن الجادين الى من يخلطون المنح بالجد او يمزجون فقط، والباحثون عن الشهرة باية طريقة. ما ينشره هؤلاء القادمون الجدد الى حقل المعلومات يجب ان يخضع للتدقيق إن اردنا نقله او التعامل معه.

هذا فيما يتعلق بالاخبار اما فيما يتعلق بالآراء فالمسألة اصعب واشد اختلاطا كونها تتعلق بحق انساني هو الحق في حرية الرأي والتعبير، فكيف سنستطيع تمكين الصحفيين من حرية الرأي والتعبير في حين ان المطلوب منهم هو التعامل مع الحقائق فقط والحرص على الموضوعية والتوازن والتقرب ما استطاعوا من الحياد؟. كيف تتعامل كبريات وسائل الاعلام العالمية مع هذا الحق؟

صحافة التحقق واطاء الصحفيين عبر الفيسبوك

عماد الاصفر

هبة ومكانة الصحافة أصبحت معرضة للخطر أكثر من أي وقت سابق، كلنا يعرف ذلك ويغرق في تشخيصه وإيراد اسبابه، ولكن قلة فقط تحسن شمولية التشخيص ولا تهمل العوامل الذاتية، وقلة قليلة هي من تنشغل بالعلاج بادئة من الذات.

القول بان الصحافة أصبحت مستباحة وان عصر احتكار المعلومة أصبح من الماضي، وان المواطن ايا كان قد أصبح ناشرا ومالكا لوسيلة الاعلام، كلها اقوال صحيحة، ولكن ماذا عنا نحن الصحفيين هل احسنا القيام بدورنا وامتلكنا المواصفات التي تؤهلنا للقيام بهذا الدور على اكمل وجه، لكي نحافظ على تميزنا؟

ربما يجب ان نعود الى الاسس والى ادوار الصحافة، فهل يا ترى يدرك الصحفيون الجدد ان للاعلام اربعة ادوار: مخبر ومرشد ووسيط ورقيب، وان عليهم القيام بها مجتمعة، وتقديم منتجات مهمة وجديدة بشكل جريء ومسؤول، ووفق مهارات الدقة والاختصار الذي لا يعتدي على الوضوح.

هل يعرفون بان على الصحفي ان يمتلك عقل الفيلسوف وحكمة وعدل القاضي واحساس الشاعر وشجاعة الفارس.

قد ترون ان امتلاك هذه المواصفات شيء مثالي لا يمكن له ان يتحقق، وانا اقول ان ما لا يدرك كله لا يجب ان يترك جله، نريد درجات ونسب متقدمة من هذه المهارات، لا نريد ان نستعين بمثالياتها لنحاربها كما نفعل حين نقول ان الحياد مستحيل ونستغل ذلك لتبرير الانحياز بدلا من استخدامه لزيادة نسبة الموضوعية والتوازن.

تنافس المسرح مع السينما وكذلك الراديو مع التلفزيون واستمر الجميع في التنافس والآن نشهد هذا التنافس بين الصحفي والمدون او الناشط او المواطن الصحفي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، كيف يمكن لنا النجاة؟ ليس نجاة شخصية وانما النجاة بمهنتنا الانسانية التي تحمل الحقيقة والموضوعية وتسعى لخلق رأي عام وليس استغلال المشاعر.

كان التوقع ان ينشط الجميع في برامج التثقيف الاعلامي الموجه لغير الاعلاميين والتي من شأنها ان ترفع من سوية مستخدمي الفيسبوك وبقية وسائل التواصل الاجتماعي ليكونوا اقرب ما يمكن الى فهم مبادئ

واخلاقيات الصحافة، ولكن ما جرى للأسف هو نزول الصحفيين عن مبادئ مهنتهم واخلاقياتها مقابل حفنة لايكات.

الحل هو بتمايز الصحفيين عن النشاط، الحل هو بالتزام الحقائق والبحث عنها لا عن اللايكات.

سمحوا لي ان اقتبس هنا ما كتبه الزميل محمد دراغمة مدير مكتب وكالة ال AP :

"بدون زعل يا رفاق القلم.. الفرق بين الصحفي والسوشيالي كبير، الصحافة مهنة له قواعدها المحددة، اما النشر على مواقع التواصل الاجتماعي فهو شخصي، وغالبا ما يكون انفعاليا او استعراضيا او فكاهيا....

المعالجة الصحافية تقوم على البحث العميق، وايراد رواية كل اطراف الحدث، لكن النشر على "الفيسبوك" لا يتعدى الانطباع الشخصي الذي غالبا ما يكون سريعا، وسطحيا، ويهدف الى الحصول على التصفيق .

في التعليق على قرار النائب العام منع الشرائح الاسرائيلية، قلائل هم الذين بحثوا، وقلائل هم الذين حصلوا على رواية مختلف الاطراف قبل النشر السريع الذي تضمن الكثير من الشتائم والاتهامات والتهديدات....

النيابة العامة لديها الرواية التالية التي تقول: سجلت مؤخرا عشرات الجرائم التي استخدمت فيها شرائح اسرائيلية، ولم تتمكن النيابة من وضع اليد على خيوطها...الاتصال عبر الشركات الفلسطينية يمكننا من تتبع الخيوط... من اتصل بمن، وفي اية ساعة، وفي اي مكان

ما تقوله النيابة العامة في هذا الشأن مفهوم، والسؤال هل هو السبب الحقيقي، واذا كان كذلك لماذا تأخر كل هذا الوقت.....

ربما يكون فعلا هو السبب، وربما يكون هناك اهداف اخرى ، والمطلوب منا اجراء الكثير من البحث للتأكد منها قبل ان تصدر الاحكام في ثواني معدودات ونتهم ونشتم وننذر ونحذر ونضرب بيد من حديد....

طبعاً هذا لا يعني ان لا نعارض الارتفاع المبالغ فيه في اسعار خدمات شركاتنا الوطنية العظيمة... وهذا ايضا لا ينفي ان اسعار الشركات الاسرائيلية افضل مليون مرة من اسعار شركاتنا.. لكن للأسعار معركتها وللصحافة معركة أخرى...

هناك فرق كبير بين الصحفي والسوشيالي، لكن غالبية الصحفيين يميلون للدور الثاني لأنه، اسهل واسرع واكثر شعبية".

الفيس بوك : نصف يفهم الحرية غلط ونصف آخر يفهم الغلط حرية

عنوان مبالغ فيه جدا و منقول، وهذا شيء عادي لان الفيسبوك يدفعنا من غير ان نشعر الى المبالغة والتهويل والاستهزاء ، ويغرينا بسرقة افكار الآخرين والاكتفاء بكتابة منقول دون ذكر اسم المنقول عنهم.

كل منا يحتفظ في ذاكرته بحادثة او أكثر لاساءة مهنية او سقطة اخلاقية كان مسرحها الفيس بوك او سببها منشور يفتقد الى ادنى درجات المصداقية.

هذه السقطات كانت تتراوح بين التنبؤ بمنخفض جوي وهي ولكن غير مسبوق و اعلان وفاة مشاهير ما زالوا على قيد الحياة وتتصاعد الى حد التلميح بوجود دوافع الحفاظ على الشرف وراء جرائم قتل بعض النساء او حالات الانتحار ونشر صور متهمين لم تجر ادانتهم ولا محاكمتهم او نشر الاريك في صفوف طلبة التوجيهي وذوهم بعد نشر صور امتحان يقال انها مسربة وصولا الى الاغتيال السياسي والمعنوي لبعض الشخصيات العامة. وانتهاء بما يحصل من تسرع وعدم دقة في نشر الصور وتغطية الاحداث والاصابات واسماء الشهداء وتبني روايات وترجمات غير صحيحة.

ومعلوم ان الدافع وراء نشأة الفيسبوك كانت رغبة صاحبه ومؤسسه مارك زوكربيرغ في التشهير بصديقه السابقة اولاً وبالتجسس عليها ثانياً، وما من شك بان هذا المنبت وهذه النشأة تقف خلف كافة العمليات المتاحة عبر الفيس بوك وتفرض علينا مع المدة سلوكا مشابها، لاحظوا مثلا الروح السلبية والمسرقة في الانتقاد وفي الاستهزاء من كل شيء وكيف اصبحت موديلاً مميزاً لكافة المدمنين على استخدام الفيس بوك . ولا شك بان كثير منكم ان لم يكن جميعكم قد استمع الى مقاطع من التحقيق الذي جرى مع مؤسس الفيسبوك حول تسريب البيانات الشخصية خدمة لاغراض انتخابية ادت الى فوز ترامب بالرئاسة الامريكية.

عبر التويتر والفيس بوك يتوجب عليك ان تكون مختصراً ومكثفاً ، ومن الطبيعي ان يقود هذا الاختصار الى لغة جافة خالية من التسامح الذي قد يظهر عند الحديث وجها لوجه، ناهيك عن ان التعقيبات والردود تأتي اكثر جفافاً وحدية وفضلاً على ذلك فان بعض التغريدات والردود تأتي بمنطق (اياك اعني واسمعي يا جارة).

لست معاديا للفيس بوك ولا لمستخدميه فأنا واحد منهم، ولكن ما يرتكب على فضائه هذه الايام يقارب الجريمة. بعض أنظمة القضاء الغربية اعتبرت الفيس بوك وأخواته حيز بث خاص وحصنت الناشرين خلاله، ولكنني اكاد اجزم ان هذه الانظمة القضائية لم تواجه ولا واحد بالالف مما نواجه من سوء وفوضى الاستخدام وما قد تسفر عنه من ارتباك واضطراب ان لم نقل تحريض قد يؤدي الى الحقد والكراهية وربما الانتقام والقتل، ولو شهدت هذه الدول الأوروبية العريقة المشهود لها بالحريات والنزاهة القضائية فقط واحد بالالف مما نشهد من مساوئ فيسبوكية لكان لها رأي آخر .

وبالتالي اعتقد انه يجب ان يكون لنا تشريعاتنا ولهم تشريعاتهم ، هذا ليس مدعاة لكبت الحريات بل دافع لتنميتها ، لأن اكثر ما يسيء لحرية الرأي والتعبير هو سوء استخدامها وليس كبتها ، فسوء استخدام واستغلال هذه الحرية كفيل بتحويلها الى اداة للفوضى ومصدر للإشاعات والقلق والتوتر والاحباط والسوداوية والسلبية والى منصة لاساءة سمعة الآخرين والى توفير الفرص لاعداء الحريات من اجل الانقضاض عليها والانتقاص منها، اما قمعها حين تكون منضبطة واخلاقية فانه خير ترويج لها واعلاء من شأنها وشأن المشتغلين بها.

ولعل اكثر ما يجب ان يشغل بال الصحفيين هذه الايام هو كيفية الحفاظ على سمعة مهنتهم، وكيف يمكن استعادة مكانتها وهيبته بعد ان تضررت كثيرا، ولعدة اسباب على رأسها تسلل عدد كبير من خارج ابناء المهنة الى صفوفها عبر بوابة وسائل التواصل الاجتماعي، لقد بدأ بعض منظري الاعلام والحريصين على المهنة بتسمية وسائل التواصل الاجتماعي بالقوة المجتمعية الخامسة (السلطة الخامسة)، وهي تستحق ان تكون سلطة لما لها من تأثير ، ولكننا نستحق ونحتاج ان ننأى بانفسنا وبمهنتنا عنها، وان نعيد الاعتبار الى ذلك التمايز عبر التزام الدقة والمصداقية والمسؤولية.

لا نستطيع توجيه الكثير من اللوم الى جمهور المدونين من خارج ابناء المهنة فهؤلاء لم يتخرجوا من كليات الاعلام وجمهورهم هو في الغالب محيط الاقارب والاصدقاء ومسؤوليتهم ازاء ما ينشرون لا تقترب ابدا من مسؤولية الصحفيين، اما اللوم كل اللوم فيجب ان ينصب على رؤوس ابناء المهنة لانهم يعرفون ويحرفون ولان دائرة جمهورهم اوسع بكثير من دائرة الاقارب والاصدقاء المقربين، بعض منظري القانون يشجعون معاملة الصحفي في قضايا النشر على انه شخصية عامة نظرا لما يكتسبه من جماهيرية ومصداقية مفترضة.

علينا ان نعترف بان بعض وسائل الاعلام وخاصة الحزبي منها تُمارس دورا سيئا جدا بل وأسوأ بكثير من الدور الذي يمارسه اسوأ مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي وأشدهم إغراضا، ففي النهاية سيؤخذ الجمهور المفرد على انه مجرد فرد ناشط، اما الناعقون باسم الاعلام الحزبي فسيأخذون على محمل الجد، في مواجهة هذه الآفات جميعا لا يوجد سوى حلين لا ثالث لهما، الاول: ايجاد إعلام عمومي يتمول من الشعب مباشرة ويحظر عليه العمل في الدعاية والإعلان ويخضع لمساءلة البرلمان او هيئة اعلامية ذات استقلالية (مجلس اعلى للإعلام ، مثلاً) والثاني: تثقيف الجمهور تثقيفا اعلاميا.....

اذا كان يحق للصحافيين رغم امتلاكهم منابر الاعلام التقليدي ان يلجأوا للإعلام الجديد املا في مزيد من الحريات او هربا من القيود التحريرية في مؤسساتهم ، فمن باب اولى ان يتم السماح للاخريين وخاصة من يشعرون بالتهميش اعتلاء منابر الاعلام الجديد سواء كانوا سياسيين او اصحاب مصالح. المهم ان يقترب المدون والمواطن الصحفي من احتراف الصحافة ما استطاع الى ذلك سبيلا، والا هم هو ان لا ينزلق الصحفي ويتنازل عن قواعد مهنته وأخلاقياتها ليكون بوقا لحزب او لمجرد الحصول على حفنة لايكات.

اذا ما اردنا كاشخاص منتمين لمهنة الاعلام ان نحافظ على سجلنا الصحفي وعلى سيرتنا الذاتية ومستقبلنا المهني فان علينا معاملة صفحاتنا وحساباتنا على مواقع التواصل الاجتماعي كما لو كانت صحف مطبوعة، وبكل الاحوال فليس من المقبول ولا من اللائق ان يصنع الاعلامي لنفسه صورتين واحدة يخرج بها على الهواء عبر وسائل الاعلام التقليدية واخرى يطل بها عبر الفيس بوك، كثير من وسائل الاعلام الكبرى تمنع اعلاميها من فعل ذلك لان فيه اضرار بمصداقيتها ومصداقيتهم.

الجمهور وخاصة الفلسطيني قادر على ذلك وفوق ذلك فهو ذكي ومثقف اعلاميا ولا يكتفي بمصدر واحد ويستطيع تمييز الخبر الموثوق من الخبر المحبوك والمؤلف، ويستطيع ايضا التمييز بين الراي والمعلومة، ولكنه جمهور مسيس وصاحب هوى سياسي وايدولوجي وقد يساهم في اثارة ونشر وتوزيع اخبار لا يعتقد انها صحيحة ولكنها تخدم توجهه، هو يفعل ذلك ولكنه في اعماقه لا يحترمه ولا يحترم مصدره.

نريد عبر التثقيف الاعلامي ان نرفع من سوية ومن حسن استخدام المواطن لمواقع التواصل الالكتروني، لا ان ننحدر بمهنتنا الى مستوى التماهي مع حديث المقاهي والشوارع وما يسوده من اشاعات ومبالغات وانصاف حقائق واحاديث غير مسؤولة، ونريد ان يحفظ كافة مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي وعلى رأسهم

الاعلاميون حقوق وخصوصية غيرهم حتى لو كانوا متهمين – فالمتهم بريء حتى تثبت ادانته - لا ان يعتدوا على هذه الخصوصية والحقوق بدواعي حرية التعبير .

ولعل من غرائب هذه الاعتداءات قيام احدهم باعادة نشر صورة فتاة تداعب فرسها على شاطئ البحر في غزة حيث كتب تحت الصورة مستغربا: "فتاة تغازل حصانا ، اين الحياء يا امة الاسلام؟! " تكرر الامر مع عدة صور لفتيات يمارسن حياتهن الطبيعية وبمنتهى الوقار سواء خلال نزهة على الشاطئ او المشاركة في دورة تدريبية او مهرجان او مظاهرة او مواجهات مع الاحتلال.

التثقيف الاعلامي للجمهور او التربية الاعلامية تقوم على ٣ قواعد أساسية : ١- تعليم الجمهور قراءة الاعلام قراءة نقدية ، ليعرف مستوى دقته ويحكم على توجهاته ويعرف ما بين سطوره ، ٢- الوصول الى الاعلام والتاثير في أجنذاته وحمله على تبني قضايا يريدھا الجمهور وذلك عبر التعليق والرسائل والضغط والشكاوى واثارة الاهتمام، ٣- انتاج إعلام بديل فيه دقة باستخدام ادوات بسيطة ونشره عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

التثقيف الاعلامي المطلوب يجب ان يتوجه ليس للجمهور فقط وانما لاعضاء بقية السلطات ايضا، فمثلا هل يفهم رجال القضاء والأمن حقيقة طبيعة العمل الاعلامي والتغييرات العميقة التي طرأت عليه مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، هل نحن بحاجة الى قضاء متخصص بالقضايا الاعلامية؟ هل نحن بحاجة الى تبادل المعارف فيتعلم الصحفي شيئا عن القضاء واجراءات التقاضي ومحطات ممارسة العدالة ويتعلم القاضي جزءا من متطلبات وظروف عمل الاعلاميين .

وينطبق الامر ايضا على رجالات الامن فكلما زادت اللقاءات بينهم وبين الصحفيين كلما تحسن الوضع وأصبح التفهم هو سيد الموقف، هل يفهم الوزير ووكيل الوزارة ان اعتماد وتطبيق قانون الحق في الحصول على المعلومات يعمل لمصلحته تماما كما يعمل لمصلحة الصحفي، وان اعتماد هذا القانون سيسهم بشكل كبير في محاربة الشائعات وانصاف الحقائق وسيكرم السلم الأهلي والعلاقات الحسنة مع الصحافة، وسيسمح له بتصنيف ما لديه من معلومات ؛ سري للغاية وسري ومتاح، وانه سيمتلك فسحة زمنية كافية قبل تلبية اي طلب للحصول على معلومة.

هذا النقاش مثار عالميا حتى في اكثر الانظمة والدول استقرارا وديمقراطية، وملخصه هل الفيسبوك كوعاء، حيز عام ام شخصي؟ وهل الصحفي شخصية عامة في حدود ما ينشر ام مجرد مواطن يعبر عن رأي خاص؟

واخيرا هل نحن بحاجة الى البدء من حيث بدأ الآخرون بتنظيم مهنة الصحافة عبر جعل شهادات مزاوله المهنة امر اجباري كما في المهن الاخرى كالطب والهندسة.

السؤال هو هل نسعي هؤلاء صحافيين ؟ وهل نسعي هذه المواقع وسائل اعلام او اعلام بديل ؟ سؤال مطروح بقوة، التوجهات العالمية تقول ان ممارسة حرية التعبير عبر الاعلام بكافة اشكاله حق ، والدول المتقدمة في هذا المجال لا تشترط على الصحافي دراسة الاعلام ولا عضوية النقابة ولا الحصول على شهادة مزاوله مهنة ، وتسمح بالتعددية النقابية في كل المجالات بما فيها نقابات الصحافيين ، وهي بذلك تسمح للجمهور بان يمارس دوره في تثبيت وسيلة الاعلام او نفيا وتكريس هذا الشخص كاعلامي او اهماله ليواجه السقوط المهني ، تماما كما تسمح آليات السوق الراسمالي الحر المفتوح بتنظيم السوق عبر المنافسة الحرة مع قليل من الاشراف.

برأيي الخاص اعتقد ان الاعلام موهبة وممارسة كما هو دراسة، واعتقد ان عدم قيام الاعلاميين ووسائل الاعلام بدورهم الحقيقي هو ما يفتح الباب واسعا امام المدونيين ونشطاء وسائل التواصل الاجتماعي لاحتلال مواقع الاعلاميين واخذ ادوارهم، وهو ما يحتاج الى معيار جديد عند قبول الطلبة لدراسة الاعلام في الجامعات فمعيار علامة التوجيهي ليس كافيا ويجب اضافة فحص الموهبة وكذلك التأكد من الرغبة ، فمثلا لا يمكن صناعة مذيع محترف بالعلامات فقط، ولا يمكن للتدريس والامتحانات ان تصنع كاريزما لإعلامي.

اعتقد ان موجة وسائل التواصل الاجتماعي بدأت في الانكشاف واصبح ظاهرا لمزاوليها -باعترافهم- انها تَخْلَق لديهم نوعا من الشيزوفرينيا ، واصبح واضحا لابسطة المتابعين لها ان غثها اكثر من سمينها بكثير ، مضمون وسائل التواصل الاجتماعي سيخضع بعد اليوم للكثير من التدقيق من قبل المتابعين ، سيُصبح اكثر دقة ورشدا ، وقد يقل الادمان والتعويل عليه ، قد أبدوا متفائلا ومتسرعا بهذا الطرح ، ولكن لو مارس بعضنا دوره في كشف المضمون الضار ورفع الغطاء عن الاسماء الوهمية ورشد عملية النقل ووعي من حوله بآليات التحقق من الصور والأخبار فسيكون تسرعي وتفاؤلي مبررا .

صحافة التحقق

اصبحت صحافة التحقق اليوم مهارة اساسية لا غنى عنها للصحافي او الناشط المتابع لوسائل الاعلام الاجتماعي ، بل انها اصبحت مقدمة على النقد الاعلامي حيث ان النقد يهتم بمضمون الرسالة وجودة التعبير عنها، واما التحقق فانه يبحث في صحة المعلومة من الاصل.

وقبل فهم وتجريب آليات التحقق لا بد من فهم الظروف التي ادت الى تنامي الحاجة للتحقق الصحافي من اجل خلق فضول تحقق حميد وخلق تخيل افضل لمجالات الاستخدام

في كل دقيقة يجري نشر ملايين البوستات على الفيسبوك ومئات الآف التغريدات على تويتر ومثلها من الصور على انستغرام وتحميل عشرات الساعات على اليوتيوب ويقوم بذلك خليط بشري يتدرج من الناضجين الى المراهقين ومن دعاة السلام الى اشد الارهابيين تطرفا ومن الجادين الى من يخلطون المزج بالجد او يمزجون فقط، والباحثون عن الشهرة باية طريقة. ما ينشره هؤلاء القادمون الجدد الى حقل المعلومات يجب ان يخضع للتدقيق إن اردنا نقله او التعامل معه

شدة التنافس على سرعة النشر والتي تكون الدقة غالبا اولى ضحاياها، وسواء تمت التوضيحية بالدقة عن حسن نية او عن سوء نية فان كشفها وتصحيحها واجب، وربما يستغل هؤلاء المتنافسون سخونة الاحداث واهتمام الجمهور وتلفه على الاخبار لتمرير انباء كاذبة، وبشكل عام حيث يكون التسرع تكون الحاجة اكبر الى التحقق وبشكل سريع من صحة ودقة المعلومات والصور، قاوم اغراء النشر واصبر حتى تتحقق، يعتمد غالبية الناشرين على حدسهم ويشطبون او يأجلون أي مادة تثير شكوكهم ويعتبرون ذلك قاعدة ذهبية من قواعد العمل.

حدة الاستقطاب السياسي بين الاحزاب من جهة وبين المعارضات والحكومات من جهة اخرى ودخولهم في تنافس حاد ولا اخلاقي في كثير من الاحيان، قد يدفعهم الى نشر معلومات مضللة مع محاولة اظهارها كأخبار لا شكوك فيها، وذلك عبر كثافة النشر واعادة النشر، فلا عداد القراءات ولا كثرة التعليقات او اعدادات النشر يجب ان يعني مصداقية، حكم عقلك وشغل ادوات تحققك .

توفر قراصنة وفنيين مهرة قادرين على اختراق الحسابات والنشر عبرها في ساعات الذروة او في الساعات الممتدة وهؤلاء يصعب اكتشافهم عبر الفحوص التقنية ولكن ذلك سهل اذا ما دققنا في الموضوع وسألنا انفسنا: هل يمكن لصاحب هذا الحساب ان ينشر هذه الصورة او هذا الموقف المغاير لمواقفه السابقة؟!؟

توفر هؤلاء التقنيين المهرة واستخدمهم من قبل الارذال او مبادرتهم لارتكاب الرذيلة عبر النشر قد لا يتم فقط عبر نشر اكاذيب او اجتزاء حقائق فقط وانما قد يتم عبر تزيف اخبار حقيقية والطعن بها واثارة الشكوك حولها سعيا الى نفي وقوعها لدى العامة او على الاقل اثارة حفيظتهم تجاهها واتجاه مصدرها.

المبالغة والتهويل سواء كانت بحسن نية او بسوء نية كثيرا ما تتم في عمليات النشر، اعلم بداية ان استخدام الاوصاف كمسيرات حاشدة او مواجهات عنيفة واشتباكات دموية وغيرها من الاوصاف التهويلية دليل ضعف مهني ورغبة في التضخيم وان المحترفين لا يستعملونها ويستخدمون بدلا منها اعداد تقديرية فيقولون مئات او الاف او عشرات الالوف، ويقولون اشتباكات باسلحة كذا اوقعت عدد كذا وكذا.... واعلم ايضا ان خروج مسيرة مليونية في مدينة كغزة او رام الله امر مستحيل.

الاسماء والحسابات الوهمية توفر لاصحاب النفوس الامارة بالسوء فرص لا باس بها لتصيد المغفلين ومن لا يدققون الاخبار والمعلومات او اولئك الباحثين عن أي خبر يسند مواقفهم المتهترئة حتى لو كان صادرا عن حساب "فارس الليل" او "عاشقة الاحزان" او "وردة المش عارف ايش" وحتى لو بدا لك الاسم منطقيا كخالد سليم او صالح مشاركة مثلا، ابحث عنه في جوجل او في غيرها لتعرف ان كان شخصية حقيقية ام لا وهل هو صاحب هذا الحساب حقيقة ام انه لشخص ينتحل اسمه، فان كان لخالد سليم فعلا فتجول في حسابه واعرف عنه المزيد لتحكم على مدى جديته وصدقه.

حرية الصحفي في الادلاء برأيه

هذا فيما يتعلق بالاخبار اما فيما يتعلق بالآراء فالمسألة اصعب واشد اختلاطا كونها تتعلق بحق انساني هو الحق في حرية الرأي والتعبير، فكيف سنستطيع تمكين الصحفيين من حرية الرأي والتعبير في حين ان المطلوب منهم هو التعامل مع الحقائق فقط والحرص على الموضوعية والتوازن والتقرب ما استطاعوا من الحياد؟

الحقوق حتى الانساني منها يقيد احيانا لحكمة، مثلا الطبيب ليس حرا في ان يرفض علاج احد حتى لو كان عدوه، في الدول المتقدمة عناصر الامن لا يسمح لهم بالانتساب للاحزاب السياسية، المسيرات قد تمنع ليس لما تحمله من شعارات بل لانها قد تغلق الطرق احيانا وتعتدي على حريات الآخرين، هل من المنطقي ان نسمح لموظف في شركة ما بان يذم منتجات شركته؟ او يروج لمنتجات شركة منافسة؟ اعتقد اننا لا نستطيع اجباره على ترويج منتجنا على صفحته الخاصة ولكن من الطبيعي ان لا نسمح له بذم منتجنا او الترويج لمنتج منافس.

في حالتنا الصحافية الوضع اعقد لاننا نتعامل مع حرية رأي وتعبير وضمير انساني واخلاق ومبادئ، ومع قضايا تحتمل التعددية في وجهات النظر ولا تخضع غالبا للصح والخطأ بمقدار ما تخضع للصح والاصح للمناسب والاناسب.

لن نعيد اكتشاف الماء ولا العجلة، هناك من سبقنا ووضع آليات لتنظيم ذلك ضمن السياسة التحريرية لمؤسسته الإعلامية، والواجب يقتضي ان يدرس منتسبو المؤسسة هذه السياسة وان يوقعوا عليها قبل تعيينهم، وأما تركها حبيسة في رؤوس المدراء ورؤساء التحرير فهو اجراء خبيث يجعلها خاضعة للتطبيق الموسمي وللتفسير المرن وفق الاهواء، إن لم نقل المجحف، ويمنع تطويرها. ومن بنود هذه السياسة كيفية ادارة الصحفيين لصفحاتهم الخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي.

لفضائية الجزيرة ميثاق شرف ومدونة سلوك وسياسة تحريرية مفصلة تخترقها بذكاء وخفة، ولغيرها أيضا سياسات تحريرية تلزم موظفيها بها وتحاسبهم على اساسها وهم يحاسبون إدارتهم ويبررون أعمالهم بالرجوع الى بنودها.

يقع ميثاق شرف الجزيرة في صفحة واحدة من عشرة بنود، ومدونة سلوكها في عشر صفحات اما سياستها التحريرية فتقع في 89 صفحة موزعة على بابين في الاول 25 مجالا وفي الثاني 7 مجالات، وتشمل جميعا كافة اوجه العمل .

وتسمي البي بي سي سياستها التحريرية المبادئ الاخلاقية وتشرحها من خلال 8 فئات وفي كل فئة عدة ابواب، وهي من التفصيل بمقدار كبير، وهذا احد بنودها وهو احداثها واكثرها اثارة للجدل " - بوصفك من أسرة بي بي سي، اذا اردت ان تطلق مدونة خاصة بك على الانترنت، عليك اولا مناقشة ذلك مع مديرك، وهو سيطلب منك ان تناقش المخاطر وتضارب المصالح. فهو لن يمنعك من ذلك بلا سبب. اما اذا كان لديك فعلا موقع على الانترنت، عليك ألا تقدم وجهة نظر سياسية او آراء تفضيلية أو ان تكتب بحرية أو انحياز، بما ان ذلك يتعارض مع سياسة الحياد التي تعتمد عليها بي بي سي والتي ترضخ لها بدورك ."

وكالة الصحافة الفرنسية اقل تشددا وهي تجبر العاملين فيها على ان يكتبوا في مكان بارز على صدر حساباتهم او مدوناتهم الآراء الواردة في هذه الصفحة لا تعبر عن وكالة الانباء الفرنسية.

أؤمن بان على الصحفيين جميعا الالتزام بحذافير اخلاقيات المهنة، وان على الأكثر احترافا من بينهم التشدد في الالتزام ليس بحذافيرها ونصوصها فقط وإنما بجوهرها وبالحكمة التي وضعت من اجلها، وان يمارسوا ذلك بتجرد ونزاهة وان يكون شعارهم في ذلك "واستفت قلبك وإن افتوك" بل وان يمتنعوا عن التعسف في استخدام ما هو حق لهم، فالتعسف ليس اخلاقيا حتى لو كان مستندا للقانون .

أمثلة كثيرة تخطر ببالي لتفسير ما اريد قوله ومنها :

حادثة قيام غسان بن جدو على قناة الجزيرة ببث نشيد موطني محرّفاً على نحو يستهزأ بالوضع الفلسطيني، حرية الرأي والتعبير هنا وواجب الانتقاد لا يبيح لأحد ان يستهزأ برموز الوطن او تراثه ، اعتقد ان الجزيرة وبخت بن جدو على ذلك وأجبرته على الاعتذار.

مثال مشابه قام به جمال ريان من الجزيرة أيضا ولكن على صفحته عبر تويتر حين كتب "مصر ليست أم الدنيا، انها أم الزبايل" استفزت العبارة حتى أشد معارضي النظام المصري، لأنها شكلت طعنة للوطن ومسا بالشعور الوطني للمصريين، واعتقد ان إدارة الجزيرة اجبرت ريان على إغلاق حسابه لفترة، واضعة بذلك قيда واجبا على حرية مديعها في التعبير عن آرائهم حتى الشخصي منها على هذا الشكل المخزي، لانه يعود بالضرر ليس على المحطة فقط وإنما على صاحبه أيضا.

مما تقدم نشعر بان الإعلامي وكلما ازدادت شعبيته يحب ان يعامل وان يتعامل وكأنه شخصية عامة، فالجمهور يتلقف الأخبار والمعلومات من هؤلاء على انها صادقة حتى لو كانت على صفحاتهم الخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي. اذ يصعب الفصل بين الشخصي والمهني في حياة الشخصيات العامة والمشاهير في كل تخصص.

نحن نتحدث هنا عن خبر ومعلومة وليس عن رأي شخصي. ومن ذلك ما نسب لخديجة بن قنة من الجزيرة أيضا على صفحة تحمل اسمها وقد تكون مزورة في الفيسبوك قبل عامين تقريبا حين نشر مقطع من مقابلة قديمة مع الرئيس محمود عباس موحية للجمهور بان المقابلة حديثة وأنها رد الرئيس على واقع الحال في ذلك اليوم، نبه العشرات صاحب او صاحبة الحساب الى الخطأ في الخروج عن السياق، ولكن لم يصدر أي تعديل او توضيح.

كافة الأمثلة من الجزيرة لأن من فيها هم الأكثر احترافا وشهرة والأشد ترويجا لاهمية التمسك بأخلاقيات المهنة، غير ان هناك مآسي وكوارث تحدث في أكثر من مكان وعلى أكثر من شاشة في هذا العالم .

ما لدينا نحن هنا؟ لدينا من يريد التحايل على قواعد المهنة وأخلاقياتها، ومن يتذاكى معتمدا على سذاجة الجمهور او شدة انحياز جزء من هذا الجمهور وتعصبه الاعى لفكرة او طرف، ولدينا من يسيء تفسير حريته الشخصية كإعلامي، ولا يعبأ بتشكيل شخصية مزدوجة له، ولدينا طبعاً من يفعلون ذلك بحسن نية، او عن جهل، او تقليدا لمن سبقوهم .

هل تريدون امثلة:

عندما يترجم احدهم عن العبرية خبرا يقول "السلطة تضغط على الاردن لفتح السفارة الاسرائيلية" فينشر الخبر قبل ان يأخذ ردا فلسطينيا، ويدعي ان ذلك من حقه، لانه سينشر الرد او النفي حين يصدر !

عندما يتساءل صحفي على الفيسبوك "هل صحيح ان مكافحة الفساد استدعت وزيرين مؤخرا؟" هو لا يقدم هنا رأيا وانما خبرا او معلومة ناقصة لا يستطيع نشرها في وسيلته الاعلامية لانها بكل اختصار خبر غير مؤكد، فيتحايل على ذلك بنشرها عبر الفيسبوك لانه يريد ولو الحد الأدنى من السبق او الشهرة واللايكات.

عندما نضع عنوانا يقول "الرئيس يشتري طائرة بخمسين مليون دولار" وندخل لنرى ان مصدر الخبر اسرائيلي، وان المحرر تعمد عدم الاشارة الى المصدر في العنوان، لانه يريد باختصار اثاره انتباه الجمهور وتشويقه باي ثمن !

عندما نعطي ذات الأوزان لكل ما يترجم عن الاعلام العبري، دون التوضيح لطبيعة المصدر وهل هو اميني او من جهة لها مصداقية، ام من مجرد موقع متخصص في اطلاق الاكاذيب والفتن الموجهة !

عندما نصدق هذا المصدر لأن ما جاء عبره يحك على جربنا، ونرفضه ونكذبه حين يحك الجلد الأجرب لغيرنا !

الامثلة كثيرة ، لا الوم المترجمين طبعاً بل الناشرين والمحررين لانهم لا يستوفون المطلوب بعد الترجمة، ولا الوم الصحفيين حتى الذين يتحايلون علينا ويخاتلون ويتشاطرون ، بمقدار ما الوم السلطة لانها لا توفر المعلومات بالقدر الكافي والتوقيت الملائم، ولانها لا تعرف حقوقها على هؤلاء الصحفيين وتخشى من مجرد معاتبهم، لان بيتها من زجاج.

كَمْ هائل من اخبار مجحفة وظالمة تم تداوله عبر السنوات، ولم يعبأ احد بالتوضيح او النفي، الذي يصدر متأخرا، وهذا الكم الهائل من الإجحاف هو ما صنع سمعتنا، منكم لله!!

ختاما

مهنتنا امام تحديات فهل نحن مدركون للخطر الذي يتهددنا مستقبلا

اعلامنا يخضع احيانا للسياسي وهذا خطأ، او يخضع لرأي الشارع وهذا خطأ أيضا، لأن الاعلام ليس برنامج ما يطلبه المستمعون، ولا يجب ان يسير على مبدأ الجمهور عايز كدة، الجمهور ليس كما الزبون في المطعم دائما على حق، الجمهور احساس صادق ورد فعل انفعالي يصعب ان يكون صائبا، وعليكم ان تسمعوه ما يجب ان يسمع وليس ما يحب ان يسمع.

الرأي والرأي الآخر هذان جاهزان ومعروفان ومستخرجان من صندوق نعرف محتوياته ، اما الآراء الاخرى ومهما كانت فانه يكفيها انها ولدت خارج هذا الصندوق الذي جربناه. كل الأفكار الجيدة بدأت صغيرة وجديدة ومن خارج الصناديق، فليكن لكم شرف اكتشافها واشهارها.